مجلة جامعة الملك سعود، م٢، العلوم التربوية (١)، ص ص ٢١٧-٢٤٠ (١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م).

مشكلات التكيف للطلاب الأجانب في المؤسسات التعليمية الغربية

إبراهيم حمد القعيد

أستاذ مساعد، مركز اللغات الأوروبية والترجمة، كلية الآداب، جامعة الملك سعود، الرياض، المملكة العربية السعودية

ملخص البحث. تعتبر الرحلة العلمية إلى بلاد الغرب تجربة ثقافية مميزة لها جوانب إيجابية وأخرى سلبية. فمن ناحية إيجابية لها أثر كبير على الجانب الثقافي من شخصية الطالب الأجنبي حيث تؤدي هذه الرحلة في الغالب إلى إثراء خبرات الطالب الثقافية وتوسيع اطلاعه وتعريفه على ثقافات الشعوب الأخرى. ومن ناحية سلبية، قد تؤدي الرحلة العلمية إلى تحولات في الاتجاهات والميول النفسية والفكرية باتجاه ثقافة مجتمع الدراسة.

مقدمـــة

إن الإنسان بطبيعته ككائن حي وتعرضه لمختلف الظروف البيئية من اجتماعية وطبيعية قد أعطي القدرة على التعامل مع الظروف المختلفة والاستجابة لمستجدات الحياة وما تحفل به من متغيرات اجتماعية وطبيعية. وتسمى مثل هذه الاستجابة والتعامل مع الظروف المختلفة عملية التكيف النفسي والاجتماعي. فعندما يولد الجنين عليه، للاستجابة لمتطلبات الحياة الجديدة، تطوير طرق وأساليب للتكيف تضمن له استمرارية البقاء. وعندما ينتقل البدوي من بيئة البداوة إلى الحياة الريفية للسكن الدائم أو للبقاء فترة من الزمن، فعليه القيام بعمليات التكيف وتحمل تبعاتها وذلك بسبب اختلاف الثقافة الريفية عن ثقافته البدوية

ووجود بعض القيم والعادات والتقاليد التي ينبغي فهمها والتعامل معها. وعندما ينتقل الريفي إلى مجتمع المدينة يمر بالظروف نفسها التي توجب عليه انماطًا من أساليب التكيف النفسي والاجتماعي تؤدي إلى حفظ توازنه النفسي والحياة بطريقة مقبولة في البيئة الاجتماعية الجديدة. ولا تقف أساليب التكيف النفسي والاجتماعي عند حدود معروفة في الحياة الإنسانية، ذلك أن أي تغيير يطرأ على حياة الإنسان مهما قل أو كثر يقود إلى ممارسة التكيف، فالانتقال من سكن إلى سكن في البيئة الاجتماعية نفسها والانتقال من عمل إلى عمل، على سبيل المثال، كلها أمور تقود إلى ممارسة نوع من أنواع التكيف النفسي والاجتماعي. وأكبر عمليات التكيف النفسي والاجتماعي وأشدها حدة وتأثيرًا على حياة الإنسان تلك التي تصير عندما ينتقل من بيئة ثقافية اجتماعية إلى بيئة ثقافية اجتماعية أخرى تختلف في منطلقاتها الحضارية ونظرتها للإنسان والكون والحياة. والسبب في ذلك يكمن في أن اختلاف البيئات الثقافية (فلسفات الحياة) يؤدي بالتالي إلى اختلاف العادات والتقاليد وقضايا العرف الاجتماعي وأسس بناء العلاقات الاجتماعية وما يتبعها من نظم سياسية واجتماعية واقتصادية.

والطالب الأجنبي عندما يغادر بلاده لمتابعة الدراسة أو للتدريب فإنه بذلك ينتقل من بيئة ثقافية اجتماعية إلى بيئة أخرى ويتعرض لمختلف الضغوط الاجتماعية التي تحتم عليه التكيف معها لحفظ توازنه والحياة بطريقة مقبولة في الوسط الاجتماعي الجديد لتحقيق الاستفادة إنسانيًا بالتعرف على مجتمع مختلف وتحقيق الاستفادة علميًا ومهنيًا في رحلته العلمية التي حفزته على الغربة.

مشكلة الدراسة

تستقطب المؤسسات التعليمية الغربية الكثير من الطلبة الأجانب من دول العالم المختلفة وعلى رأسها الدول العربية والإسلامية ويعيش هؤلاء الطلبة بعض المشكلات النفسية والاجتماعية والأكاديمية في بلاد الغربة وقد تؤثر هذه المشكلات على السير الدراسي للطلبة وعلى إنجازاتهم العلمية وقد تؤدي بالبعض إلى عدم مواصلة الدراسة والرجوع إلى

أرض الوطن، كما قد تؤدي إلى الركون إلى ثقافة بلاد الغربة والاندماج فيها وما يترتب على ذلك من تأثير وهجرة للعقول.

أهمـــية الدراســـة

هذه دراسة تحليلية لأهم الجوانب الثقافية للرحلة العلمية، حيث سنحاول تقديم عينة من الدراسات والأبحاث التي عملت لاستقصاء المشكلات النفسية والاجتماعية وبعض الجوانب الأكاديمية لحياة الطلبة الأجانب في المؤسسات التعليمية الغربية. وسنتطرق في معرض تقديمنا لهذه العينة إلى عرض كثير من الدراسات التي اهتمت بالتحولات الفكرية والسلوكية للطلبة بسبب المؤثرات الثقافية في بلد الدراسة. ونعتقد أن هذه العينة من الدراسات بصفة عامة ممثلة لمشكلات الطلبة الأجانب وتعكس بطريقة متوازنة الاهتمامات والاتجاهات التي تتميز بها الدراسات في هذا الحقل.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن الدراسات والأبحاث التي نتطرق إليها في هذه الدراسة هي عبارة عن دراسات وأبحاث عملت لنيل درجة الدكتوراه وقليلاً منها لنيل درجة الماجستير، لذلك فهي ممثلة لهذا الحقل من الدراسة في جوانبه النظرية والتطبيقية وتعطي فكرة واضحة، عن المشكلات النفسية والاجتماعية والأكاديمية للطلبة الأجانب في المؤسسات التعليمية الغربية. وفي الإمكان اختصار أهمية هذه الدراسة بالنقاط الآتية:

١ـ التعريف بالمشكلات النفسية والاجتماعية والأكاديمية المصاحبة للرحلة العلمية.

٢ـ التعريف بقضايا التكيف للطلبة الأجانب في المؤسسات التعليمية الغربية.

٣ـ ترجمة وتجميع وتحليل دراسات التكيف للطلبة الأجانب للاستفادة منها في ميدان الابتعاث للخارج وتوجيهه وترشيده لصالح مجتمعاتنا العربية وأمتنا الإسلامية.

٤ـ إثراء اللغة العربية وذلك بتقديم دراسات جديدة في موضوعها تؤصل معرفتنا العلمية في مجالها.

تعريـــف المصطلحـــات

الغرب (العالم الغربي): يقصد به دول غرب أوروبا وأمريكا الشمالية.

التكيـف: الاستعداد والقدرة على التغير والتعامل مع الظروف المختلفة والاستجابة

لمستجدات الحياة وما تحفل به من متغيرات اجتماعية وطبيعية.

الطالب الأجنبي: هو الطالب الذي تغرب من بلاده وجاء إلى دول غرب أوروبا أو أمريكا الشمالية لمتابعة التعليم.

المؤسسات التعليمية الغربية: هي الجامعات والمعاهد والمدارس المتخصصة في الغرب.

الرحلة العلمية: هي الفترة الزمنية التي يقضيها الطالب الأجنبي للتعليم أو التدريب أو التخصص في المؤسسات التعليمية الغربية.

مجـال الدراسـة وحدودهـا

لقد أثارت الآثار النفسية والاجتماعية الإيجابيـة والسلبية للمرحلة العلمية للطالب الأجنبي إلى بلاد الغربة اهتمام كثير من علماء النفس والاجتماع والمهتمين بقضايا الاتصال الحضـاري بين الثقـافـات. وأصبح الطالب الأجنبي مصدرًا من مصادر المعرفة في هذا المجـال، تدرس مشكـلاته النفسية والاجتماعية وتحلل أساليب تكيفه مع مجتمع الدراسة وتقاس ردود فعله تجاه المكونات الثقافية لهذا المجتمع، كما أثارت حياة الطالب الأجنبي اهتـمام كثـير من المؤسسات التعليمية المهتمة بتعليمه رغبة منها في تيسير حياته في مجتمع الدراسة وتوفير مناخ أكاديمي ونفسي أفضل يدعو إلى تحقيق الأهداف العلمية التي جاء من أجلها.

وقـد شهدت الساحة العلمية منذ بداية الخمسينات الميلادية على وجه الخصوص اهتمامًا كبيرًا بدراسة مشكلات الطلبة الأجانب في العالم الغربي وخاصة في الولايات المتحدة الأمريكية. وتؤكد هذه الحقيقة الأعداد الكبيرة من الدراسات التي ظهرت منذ عام ١٩٥٠م وتضـمنتهـا مجلدات مختصرات البحـوث العلمية مثـل مجلدات *Dissertation Abstracts International* التي تصدر منها سنويًا في الولايات المتحدة أعداد كبيرة تغطي كل ما كتب من رسائل علمية في مجالات العلوم الطبيعية والإنسانية.

وفي هذه الـدراسـه سيكـون تقـديمنـا لعينة الدراسات في إطار ما كتب منذ عام ١٩٥٠م. كما أننا سنحدد أنفسنا بالدراسات التي أجريت على الطلبة الأجانب في الولايات

المتحدة الأمريكية . واختيار الولايات المتحدة الأمريكية وما أجري من بحوث فيها لم يكن وليد صدفة، فالولايات المتحدة الأمريكية هي امتداد وتتويج للحضارة الغربية وهي بذلك تشترك مع أوروبا الغربية في التراث الحضاري ومن ثم فهي من ناحية ثقافية واجتماعية لا تختلف كثيراً عن المجتمعات الغربية الأخرى، من أجل هذا نفترض أن المؤثرات الثقافية والاجتماعية المصاحبة للرحلة العلمية للطالب الأجنبي لا تختلف في بلاد غرب أوروبا عنها في الولايات المتحدة الأمريكية . هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى تتميز الولايات المتحدة الأمريكية بوفرة الدراسات التي أجريت على الطلبة الأجانب في الجامعات الأمريكية، وهذه الوفرة في الدراسات تبررها أسباب كثيرة . فتقوم على سبيل المثال الجامعات الأمريكية بإجراء الدراسات على الطلبة الأجانب للتعرف على أحوالهم واتجاهاتهم وآرائهم في الخدمات التعليمية المقدمة وذلك بهدف تطوير هذه البرامج . كما يقوم المجتمع الأمريكي عن طريق بعض مؤسساته بكثير من الدراسات التي تهدف إلى التعرف على الطلبة الأجانب، كما تثير رحلة الطالب الأجنبي للولايات المتحدة الأمريكية فضول كثير من علماء النفس وعلماء الاجتماع المهتمين بقضايا التبادل الثقافي والتكيف الاجتماعي ومظاهر الصدمة الثقافية .

وهناك سبب آخر أدى إلى اختيار الدراسات التي أجريت على الطلبة الأجانب في الولايات المتحدة الأمريكية واعتبارها كعينة تمثل نموذجًا واقعيًا للرحلة العلمية إلى بلاد الغربة . وهذا السبب يتمثل في وجود أعداد كبيرة من الطلبة الأجانب من دول العالم المختلفة وعلى رأسها الدول العربية والإسلامية يتلقون تعليمهم في الجامعات والمؤسسات الأمريكية .

وإذا كان للرحلة العلمية إلى بلاد أجنبية جانبان، الجانب العلمي (الأكاديمي والمهني) والجانب الثقافي (الاجتماعي والنفسي) فإن هذه الدراسة تعتبر الجانب الثقافي هو هدفها الرئيس والجانب العلمي هو هدف ثانوي .

أهداف الدراسة

تهدف هذه الدراسة باختصار إلى الآتي :

١ـ تقديم عينة من الدراسات التي تتحدث عن المشكلات الاجتماعية والثقافية والنفسية للطلاب الأجانب في الولايات المتحدة الأمريكية .

٢ـ كشف بعض الجوانب الإيجابية والسلبية لظاهرة الاتصال الثقافي بين الطالب الأجنبي والبلد الذي جاء إليه للدراسة.

٣ـ التعريف بمشكلات الطلاب المسلمين في الولايات المتحدة الأمريكية حتى يتسنى للمهتمين معالجة هذه المشكلات وتقديم أفضل الحلول لها.

طبيعة التكيف

قبل الحديث عن مجال التكيف النفسي والاجتماعي وإيراد الدراسات المتعلقة بذلك يجدر بنا إلقاء لمحة سريعة على طبيعة التكيف. وهنا نستطيع القول باختصار بأن ظاهرة التكيف بعمومها ظاهرة نسبية تختلف من شخص إلى آخر ولكنها لا تعدو كما قال رتشارد موريس Richard Morris كونها ردود فعل شخصية إزاء المؤثرات الثقافية والاجتماعية الجديدة التي يتعرض لها الإنسان [١، ص٢٤].

والتكيف مهما تعددت أنواعه هو محاولات للتعامل مع مواقف فعلية أو معتقدة لإشباع الحاجات الأساسية للفرد وحفظ التوازن النفسي والاجتماعي للشخصية الإنسانية [٢، ص٣٢٨].

وقد وجد كثير من العلماء علاقة قوية بين التكيف وبين القلق الذي يشعر به الإنسان ويكون دافعًا لهذا التكيف حيث يقول جيمس كولمان James Coleman في هذا المضمون: مهما اختلفت الأسباب والطرق للتكيف مع وضع جديد فإن هذه الأساليب والطرق تتبع مبادىء أساسية معينة في الإمكان فهمها بمجملها على أنها محاولات للتعامل مع قلق فعلي أو متوقع، وهذا التعامل الهدف منه تأمين الاستقرار النفسي، وذلك بتلبية الحاجات الإنسانية الأساسية [٣، ص٥٣]. ويفسر كولمان أساليب وطرق التكيف والمبادىء التي تتبعها بقوله: إن ردود فعل الأفراد عند تعرضهم للقلق (يعني أساليب التكيف) تتبع بصفة عامة أسس ثابتة وهي إما الهجوم أو الانسحاب أو تقديم التنازلات، وهذه الأسس مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بشبكة معقدة من الدفاع عن الذات وبمدى القرب أو البعد النفسي والاجتماعي عن المؤثرات الثقافية الاجتماعية التي يتعرض لها الفرد [٣، ص٥٤].

وقد اختصر رتشارد لازاروس Richard Lazarus مناقشته حول ماهية القلق (أو الاضطراب النفسي) الذي يدعو إلى التكيف بقوله: بالرغم من اختلاف النظريات وتباين آراء علماء الاجتماع حول ماهية هذا القلق الذي يحفز على التكيف إلا أن هناك قاسمًا مشتركًا لهذه النظريات والآراء وهو إجماع على وجود هذا القلق. وهذا القلق مرده وجود مشكلة (مهما كان سببها). والشعور بهذه المشكلة بدوره هو الذي يؤدي إلى ظهور القلق (أو الخوف). وردود الفعل تجاه المشكلة (التكيف) تكون إما بمواجهتها وحلها والتعامل معها بنجاح أو بتحمل القلق والاضطراب [٢، ص٣٢٩].

البحوث في مجال التكيف النفسي والاجتماعي

قامت الباحثة ريشا فروستات Reisha Frostat بمحاولة لاستقصاء الأسباب الكامنة وراء مشكلات الطلبة الأجانب في الجامعات الأمريكية ومحاولة اكتشاف العلاقة بين كثرة المشكلات التي يتعرض لها الطالب الأجنبي وبين الفترة الزمنية التي قضاها في الدراسة. وتفيد نتائج هذه الدراسة أن المنطقة الجغرافية التي ينتمي إليها الطالب (وطن الطالب) ومستواه التعليمي (طالب دراسات عليا أو طالب جامعي) هي العوامل الأكثر تأثيرًا على حياته في المجتمع الجديد. فالطلاب الذين جاءوا من دول العالم الثالث كانت مشكلات تكيفهم أكثر وأشد حدة من مشكلات الطلاب الذين جاءوا لأمريكا للدراسة من بلاد أوروبا. كما أن طلاب الدراسات العليا كانوا عرضة لمشكلات التكيف أكثر من طلاب الدراسات الجامعية [٤]. وبالرغم من عدم توافر تفصيلات أكثر في الدراسة عن الأسباب التي أدت إلى هذه الظواهر، إلا أن القضية الرئيسة إثبات العلاقة القوية بين وطن الطالب وعمره وبين المشكلات التي يتعرض لها. وسيتضح هذا جليًا بالتفصيل في الدراسات اللاحقة التي سنوردها.

وقد دلت الدراسات أن أفراد المجتمع الذي يأتي إليه الطالب الأجنبي للدراسة ينظرون إلى الطالب على أنه يمثل البلد الذي جاء منه أو الثقافة التي ينتمي إليها. من أجل ذلك أصبحت الفكرة التي لدى الأمريكان أو الإنجليز، على سبيل المثال، عن شعب أو ثقافة معينة تؤثر كثيرًا في حياة الطالب الذي يأتي من ذلك الشعب أو تلك الثقافة. فإذا

كانت الفكرة حسنة فسوف ينعكس ذلك على التعامل مع الطالب الأجنبي، وإذا كانت الفكرة غير ذلك فسوف يكون لها تأثير سلبي في التعامل مع الطالب. ويؤيد ذلك ما ذهب إليه الباحثان رتشارد لامبرت و ن. برسلر Richard Lambert and N. Bressler في دراستهما المكثفة حول مشاعر واتجاهات الطلاب الأجانب في الجامعات الأمريكية تجاه الشعب الأمريكي. فقد وجد الباحثان اختلافًا بين الطلبة الهنود (من بلاد الهند) وبين الطلبة الإسكندنافيين والفرنسيين في نظرتهم ومشاعرهم تجاه الشعب الأمريكي. فبينما شعر الطلبة الهنود باستياء من الحياة الأمريكية وانتقدوا أكثر جوانبها انتقادًا لاذعًا كانت وجهة نظر الطلبة الإسكندنافيين والفرنسيين تجاه الأمريكان وثقافتهم جيدة وحسنة في الغالب [٥]. وقد فسر ذلك على أن ما حدث من الطلبة الهنود إنما هو رد فعل لنظرة الأمريكان للشعب الهندي حيث أفرزت هذه النظرة حماس الطلبة الهنود للدفاع عن الذات والتعبير عن مشاعر الاستياء والنقد للحياة الأمريكية التي تعاملهم في ضوء نظرتها المتحيزة ضد الشعب الهندي. وفي المقابل ترجع الأسباب الكامنة وراء المشاعر الإيجابية للطلبة الإسكندنافيين والفرنسيين إلى إحساسهم بأن الشعب الأمريكي ينظر إلى الشعبين الإسكندنافي والفرنسي نظرة لا تقارن بما يحمله من أفكار تجاه الشعب الهندي.

وفي دراسة أكثر تفصيلاً ودقة قام الباحث فرانسيس أوكاديجي Francis Okediji باستقصاء لبعض مشكلات التكيف التي يتعرض لها الطلاب الأفارقة في الجامعات الأمريكية. وتكونت عينة الدراسة من ثمانين طالبًا من جامعتي أنديانا وبوردو في ولاية أنديانا. وقد جمعت المعلومات للدراسة عن طريق تعبئة استبانات خاصة وعن طريق المقابلات الشخصية. وبعد تحليل المعلومات خرج الباحث بنتيجة رئيسة مفادها أن نظرة الطالب لوطنه ومدى شعوره بالتميّز الحضاري مرتبط ارتباطًا وثيقًا بنظرته للحياة الأمريكية وتشكيل اتجاهات معينة نحو الشعب الأمريكي. وقد صنف الباحث الطلاب الأفارقة في ضوء دراسته إلى الاصناف الآتية:

١- الطلاب الذين رأوا أن الولايات المتحدة الأمريكية أفضل من بلادهم كان رضاهم عن الحياة الأمريكية أقل من غيرهم وتميزت اتجاهاتهم ومشاعرهم بالسلبية تجاه المجتمع الأمريكي.

٢ـ الطلاب الذين اعتقدوا أن الأمريكان ينظرون إلى بلادهم نظرة دونية، كان رضاهم عن الحياة الأمريكية أقل من غيرهم وتميزت اتجاهاتهم ومشاعرهم بالسلبية تجاه الشعب الأمريكي.

٣ـ الطلاب الذين كانت لهم علاقات وثيقة مع بلادهم أثناء فترة دراستهم تعرضوا لمشكلات تكيف أكثر من غيرهم ولكنهم في الوقت نفسه كانوا أكثر رضى من غيرهم عن تحصيلهم العلمي وإنجازاتهم الأكاديمية.

٤ـ الطلاب الذين كانت لهم صلات وثيقة مع المجتمع الأمريكي عبروا عن شعورهم بالرضى عن هذه الصلات، وكلما قلت الصلة مع المجتمع الأمريكي كان الشعور بالرضى أقل [٦].

وقد عزز مثل هذه النتائج حول مشاعر الطلاب الأجانب في أمريكا دراسة قام بها الباحث رتشارد موريس Richard Morris حيث درس هذا الباحث اتجاهات ومشاعر الطلاب الأجانب في الجامعات الأمريكية وعلاقتها بالوطن الأصلي للطالب. وتفيد نتائج الدراسة أن لوطن الطالب أو لبلده الذي جاء منه تأثيرًا كبيرًا في نظرته للشعب الأمريكي. فالطالب الذي يعتقد أن الأمريكان ينظرون إلى بلده نظرة دونية كان تقويمه للحياة الأمريكية سيئاً وانتقاده شديدًا؛ أما الطالب الذي يعتقد أن الأمريكان ينظرون إلى بلده نظرة جيدة فقد كان تقويمه للحياة الأمريكية إيجابيًا [١].

وقد أشارت دراسة قام بها سويل وزميله ديفدسن Sewell and Davidson على بعض الطلاب الإسكندنافيين إلى النتيجة نفسها حيث تبين أن ردود فعلهم تجاه الشعب والثقافة الأمريكية اعتمدت اعتمادًا كبيرًا على نظرة الأمريكان لهؤلاء الطلاب وللثقافة التي يحملونها [٧].

ويستفاد من هذه الدراسات السابقة المتعلقة بنظرة الشعب الأمريكي إلى الطالب وثقافته، دراسة أوكاديجي ودراسة رتشارد لامبرت وبرسلر ودراسة رتشارد موريس وسويل

وديفـدسن أن الوضع النفسي والاجتماعي الذي يعيشه الطالب الأجنبي في بلد الدراسة ووقوعه تحت طائلة مسلمات ثقافية وعادات وتقاليد اجتماعية مغايرة لما ألفه وتعود عليه يؤدي إلى زيادة إحساسه بذاته وكونه عضو في ثقافة مختلفة، وهذا بالتالي يقوده إلى تطوير مشاعر إيجابية نحو مجتمع بلد الدراسة إذا كانت نظرة هذا المجتمع إلى الطالب وثقافته جيدة. أما إذا كانت نظرة مجتمع الدراسة للطالب عكس ذلك فيؤدي ذلك إلى تطوير مشاعر سلبية ومحاولة الدفاع عن الذات وزيادة الحساسية تجاه أي تقويم له ولثقافته.

وقـد ألقت كثـير من الـدراسات الضوء على جوانب متعددة من حياة الطالب في الولايات المتحدة الأمريكية. ففي دراسة قام بها إراج روديانى Iraj Roudiani تم استقصاء ثلاث مجموعات من العوامل المؤثرة على الطالب الأجنبي. وهذه المجموعات هي كمايلي:

١ـ عوامل متعلقة بالفترة الزمنية التي قضاها الطالب في بلد الدراسة.

٢ـ عوامل متعلقة بالخلفية الإقليمية والاجتماعية للطالب الأجنبي.

٣ـ عوامل متعلقة بصلات الطالب مع البيئة التعليمية والاجتماعية التي جاء إليها للدراسة.

ومن أهم النتائج التي كشفتها الدراسة أن طول الفترة الزمنية التي يقضيها الطالب في بلد الدراسة لها علاقة وثيقة ببعض التغيرات الفكرية والسلوكية التي تطرأ عليه، فقد وجد مثـلاً أن الطالب الأجنبي كلما طالت فترة حياته في بلد الدراسة أثر ذلك في سلوكه وفي أسلوب نظرته للأمور وحكمه على الأشياء [٨].

وبالرغم من أن التعليم ونمو تجارب الإنسان يؤثران في أسلوب نظرته للأمور وحكمه على الأشياء، إلا أن حديث الباحث عما أسماه بسعة الأفق والنظرة العالمية التي يتغير باتجاهها سلوك الـطلاب الأجـانب وفكـرهم يعني بالـدرجة الأولى التوجهات الغربية في السلوك والفكر. ويبدو ذلك جليًا من الأسئلة التي اشتملت عليها استبانة الدراسة والتي تعرّف سعة الأفق والنـظرة العـالمية من وجهة نظر الثقافة الأمريكية، وقد وجد الباحث أن سعة الأفق والنـظرة العـالمية التي تتطور عند الطالب ليس مردها فقط إلى معرفته وصلاته بثقافة بلد

الدراسة (الثقافة الأمريكية) — بل إن من أسباب تكوينها وتطورها الاحتكاك بين الطلاب الأجانب أنفسهم الذين جاءوا للدراسة في الولايات المتحدة الأمريكية .

وتعتبر دراسة محمد بايند Mohammed Payind إحدى الدراسات التي تعرضت لمشكلات بعض الطلاب من منطقة الشرق الأوسط الدراسين في الولايات المتحدة الأمريكية، فقد استقصى الباحث المشكلات الشخصية والاجتماعية والأكاديمية للطلاب الأفغان والإيرانيين من طلبة الدراسات العليا في الجامعات الأمريكية . وتبين من الدراسة أن أسباب كل هذه المشكلات، خاصة المشكلات الشخصية والاجتماعية، تعود إلى الفروق الثقافية بين الأمريكان من جهة وبين الإيرانيين والأفغان من جهة أخرى . وقد وجد الباحث أن من بين أسباب مشكلات الطلبة هو عدم توافر الفرصة لديهم لعمل علاقات مع الأمريكان من مدرسين وطلبة وغيرهم [٩] . وقد سيطر الطابع الوصفي على الدراسة فلم يخبرنا الباحث عن الأسباب الكامنة وراء عدم توافر الفرصة لعمل مثل هذه العلاقات واكتفى بالحديث عن عموميات الفروق الثقافية .

وعلى النمط نفسه في دراسة مشكلات الطلاب الأجانب في الولايات المتحدة الأمريكية، قام الباحث مالكولم السMalcom Ellis بإجراء دراسته على عينة كبيرة من الطلبة وصل عددها إلى ١٢٣١ طالبًا في جامعة أنديانا . ومن بين هؤلاء الطلاب ١٥٢ طالبًا من المملكة العربية السعودية و١١٩ من إيران و٦٧ من ماليزيا و٦٦ من نيجيريا، وبقية الطلبة ينتمون إلى أقطار شتى من منطقة الشرق الأوسط . وتوصل الباحث إلى نتائج أهمها الآتي :

١ـ وجد من ناحية أكاديمية أن أهم مشكلة يعيشها الطالب الأجنبي هي مشكلة الضعف في اللغة الإنجليزية، (لاحظ أن هذه العينة من الطلاب جاءوا من منطقة الشرق الأوسط وأغلبهم من العرب والمسلمين) . وهذه المشكلة تؤثر على السير الدراسي للطالب وتترك أثرًا سلبيًا لدى المدرسين والطلاب الأمريكيين وتشكل نظرتهم حول القدرة الأكاديمية للطالب . وأهم جانب من جوانب هذه المشكلة هو عدم القدرة على التخاطب السليم وفهم اللغة مما يؤدي إلى عدم استيعاب المادة العلمية وعدم المشاركة الفعلية في المناقشة وعدم

القـدرة على التعبـير عن الأفكـار. وأقـل جوانب هذه المشكلة هو القـدرة على الكتـابـة بالإنجليزية وذلك أن الطالب لديه الفرصة لتحسين كتابته وتقديم واجبات مكتوبة بطريقة حسنة عملت على انفراد أو بمساعدة الآخرين.

٢ـ وجـد من ناحية اجتماعية أن الطلاب الأجانب في السنتين أو الثلاث سنوات الأولى من قدومهم إلى الولايات المتحدة الأمريكية لا يغيرون توجهاتهم الثقافية والدينية إلا تغييرًا يسيرًا.

٣ـ وجد من ناحية فكرية أن الطلاب الأجانب يزداد تقديرهم للعلم والمعرفة وتزداد عندهم سعة الأفق بازدياد الفترة الزمنية التي يقضونها في الولايات المتحدة الأمريكية [١٠].

وتجدر الإشارة هنا إلى أن النتيجة الأولى المتعلقة بضعف مستوى الكفاءة في اللغة الإنجليزية هي أهم مشكلة يعانيها الطلاب قد تواترت على إثباتها أغلب الدراسات حيث أوضح لويز دي أوليفيرا Luiz De Oliveira في دراسته التي حلل فيها أربعة وعشرين عامًا من الدراسات حول مشكلات الطلاب الأجانب بأن هناك إجماعًا بين الدراسات على أن اللغة الإنجليزية هي المشكلة الرئيسة التي يعاني منها الطلاب في فترة الرحلة العلمية [١١].

وبـالنسبـة للنتيجة الثانية التي توصل إليها أليس والمتعلقة بتغير التوجهات الدينية والثقافية للطلاب الأجانب فيبدو أن هذه القضية مثار اهتمام أغلب الباحثين ويندر أن تجد دراسة تغفل هذه القضية. وتقوم هذه القضية في الأصل على فرضية مفادها أن الطلاب الأجـانب الـدارسـين في الولايات المتحدة الأمريكية يتعرضون لمؤثرات ثقافية ينتج عنها تغـيرات في الميول والسلوك والاتجـاهات ولكن ما يحدث للطالب من جراء هذه المؤثرات الثقافية هو قضية نسبية تعتمد على عمره والفترة الزمنية التي يقضيها في بلد الدراسة ومدى تماسكـه الحضـاري بالإضافة إلى عوامل أخرى، وقد اختلفت الدراسات في سرعة وقوة التغيرات التي تحصل للطلاب الأجانب فبينما ذهب اليس كما رأينا إلى قلة هذه التغيرات وبطئها في السنتين أو الثلاث سنوات الأولى من بداية الدراسة ذهبت دراسات أخرى كما سيرد في هذا البحث إلى الاعتقاد بشدة هذه التحولات وسرعتها.

وبالنسبة للنتيجة الثالثة التي توصل إليها اليس والمتعلقة ببعض التغيرات الفكرية، تجدر الإشارة هنا أيضًا إلى اهتمام الدراسات بهذه القضية. وتقوم هذه القضية على فرضية مفادها أن الطلاب الأجانب يأتون عادة من بلاد أقل تقدمًا من بلاد الغرب وينتمون إلى ثقافات أشبه بالمنعزلة على نفسها وعندما يأتون إلى بلد مثل الولايات المتحدة الأمريكية فإنهم ينفتحون على العالم الحر ويتعرفون على وجهات نظر مختلفة (وبما أن الثقافة الأمريكية هي قمة الحضارة الغربية) كما عبر عن ذلك عالم الاجتماع الصيني فرانسيس سو Francis Hsu : لا تعتقد بأنها أفضل الثقافات الإنسانية والمهيمنة عليها فقط بل تذهب إلى أن الثقافات الأخرى يجب أن تحذو حذوها وتأخذ طريقها وتجعلها المقياس في نظرتها للأمور والأشياء [١٢، ص١٦٨]. فقد أثر ذلك على نظرة باحثيها وتعاملهم مع الطلاب الأجانب، لذلك ليس غريبًا أن تختبر مثل هذه الفرضية ويرى مدى اتساع أفق الطالب الأجنبي إذا عرفنا أن سعة الأفق يتم تعريفها في إطار الثقافة الأمريكية.

وقد اهتمت بعض الدراسات حول الطلاب الأجانب بصفة خاصة بمحاولة معرفة مدى تأثير الفترة الزمنية التي يقضيها الطالب في بلد الدراسة. من هذه الدراسات دراسة قام بها أفرنو رمبل Averno Rempel تتبع خلالها مجموعة من الطلبة الأجانب ودرس أحاسيسهم ومشاعرهم وانطباعاتهم. وتمت الدراسة على فترتين من الزمن، الفترة الأولى قام بجمع معلوماتها عند قدوم الطلاب للولايات المتحدة الأمريكية، والفترة الثانية قام بجمع معلوماتها بعد عدة أشهر من قدومهم. وعند مقارنة أحساسيس الطلاب ومشاعرهم وانطباعاتهم في الفترتين من الدراسة تبين أن عدد المشكلات التي يتعرض لها الطلاب قد خفت مع ازدياد الفترة الزمنية التي قضيت في مكان الدراسة كما أن التكيف قد تحسن بمرور الزمن غير أن المشكلات الأكاديمية كانت أكثر زوالاً من المشكلات الشخصية والاجتماعية [١٣].

وقد أكد هذه النتيجة ما ذهبت إليه نتائج بعض الدراسات التي أجريت على الطلاب اليابانيين في الولايات المتحدة الأمريكية، حيث وجد أن للفترة الزمنية التي يعيشها الطالب أثرًا كبيرًا في تخفيف مشكلات تكيفه، فكلما ازدادت الفترة الزمنية خفت المشكلات وتحسن

التكيف وفي المقابل كلما قصرت الفترة الزمنية كثرت المشكلات وصعب التكيف [١٤]. وبالرغم من أن نتائج هذه الدراسات تبدو بديهية إلا أن التسليم ببداهتها يزيد من إثباته البحث العلمي في هذا الميدان.

ومن هذه الدراسات التي اهتمت بالفترة الزمنية في بلد الدراسة وعلاقتها بالطالب الأجنبي دراستان لغدير سعود الغدير وصالح عبدالله البنيان أجريتا على الطلاب السعوديين الدارسين في الولايات المتحدة الأمريكية. في الدراسة الأولى قام الغدير بجمع معلومات عن ٢٥٨ طالبًا سعوديًا يدرسون في عدة جامعات أمريكية وذلك لمعرفة مدى الفروق بينهم في فهم الثقافة الأمريكية ومدى الفروق بين اتجاهاتهم وأحاسيسهم تجاه هذه الثقافة. وقد صنف الباحث عينة الدراسة إلى ثلاث مجموعات من الطلاب حسب الفترة الزمنية التي قضوها في الدراسة في أمريكا. المجموعة الأولى مكونة من ٨٢ طالبًا وهم القادمون حديثًا، المجموعة الثانية ٨٤ طالبًا وهم ممن أمضى ثلاث سنوات، والمجموعة الثالثة ٩٢ طالبًا وهم ممن أمضى خمس سنوات فأكثر في الولايات المتحدة الأمريكية، ومن أهم النتائج التي خرج بها الغدير الآتي:

١ـ لم يجد هناك فارقًا واضحًا في اتجاهات وأحاسيس كل من المجموعات الثلاث من الطلاب السعوديين تجاه الثقافة الأمريكية.

٢ـ أبدى طلاب الدراسات العليا معرفة أوضح للمفاهيم الثقافية الأمريكية أكثر مما أبداه طلاب الدراسات الجامعية.

٣ـ تبين بأن الطلاب السعوديين القادمين حديثًا للدراسة في الولايات المتحدة الأمريكية لا تتوافر لديهم المعرفة الكافية والفكرة الواضحة عن المفاهيم الثقافية الأمريكية [١٥، ص٥٤٦].

وفي الدراسة الثانية حول هذا الموضوع قام عبدالله صالح البنيان بدراسة الجانب الثقافي من الرحلة العلمية للطلاب السعوديين في الولايات المتحدة الأمريكية وعلاقته بتغير

اتجاهاتهم وميولهم النفسية والفكرية. وقد استهدفت دراسة البنيان كل الطلاب السعوديين في وقت من الأوقات وبالتحديد في عام ١٩٧٢م حيث أرسل الباحث استبانة لكل طالب سعودي عن طريق الملحقية الثقافية السعودية في أمريكا. وقد استجاب للاستبانة ١١٧ (١٧٪) طالبًا من أصل ٧٠٠ طالب سعودي يتلقون تعليمهم في الجامعات الأمريكية في ذلك الوقت. وإليك أهم نتائج هذه الدراسة:

١ـ تبين أن لطول الفترة التي قضاها الطلاب السعوديون في البيئة الأمريكية علاقة قوية بتغير اتجاهاتهم النفسية والفكرية. وقد اتضح هذا التغير فيما يتعلق بالوضع التقليدي للمرأة في المجتمع السعودي، حيث أدت الفترة الزمنية الطويلة التي قضاها الطلاب السعوديون في أمريكا إلى تطور ما أسماه الباحث بالاتجاهات الإيجابية نحو تحرير المرأة. وهذا يعني رفض القيم التقليدية والعادات المتعلقة بنظام الحجاب ورفض الحدود المفروضة على اختلاط الرجل بالمرأة في التعليم والوظيفة [١٦، ص٩٦].

٢ـ تبين أن الطلاب الذين أمضوا في الولايات المتحدة الأمريكية أكثر من سنتين عبروا عن عدم موافقتهم على القيم التقليدية التي تحكم العلاقات العائلية في بلادهم أكثر مما عبر عنه الطلاب الذين أمضوا أقل من سنتين وهذا يعني أن القيم التقليدية التي تحكم العلاقات العائلية في المملكة تميل إلى فقدان أهميتها عند الطلاب مما يفسح المجال لظهور القيم الأمريكية مع طول فترة الحياة في أمريكا [١٦، ص٩٦].

وتتفق كل من نتائج دراسات إبراهيم عبدالله ناصر وإبراهيم العبيدي حول مشكلات تكيف الطلاب السعوديين في الولايات المتحدة الأمريكية مع ما توصل إليه صالح البنيان من أن بقاء الطالب السعودي في الولايات المتحدة الأمريكية فترة طويلة من الزمن يجعله أكثر عرضة لامتصاصه الاجتماعي من قبل المجتمع الأمريكي [١٧، ص٢١].

وتفيد النتائج المأخوذة من الدراسات السالفة الذكر، دراسات أفرنو رمبل، وغدير الغدير وصالح البنيان وعبدالله ناصر وإبراهيم العبيدي بتأثير الفترة الزمنية التي يقضيها

الـطالب في بلد الدراسة على شخصيته، فيؤدي طول هذه الفترة إلى التخفيف التدريجي للمشكلات الاجتماعية والنفسية التي يتعرض لها الطالب منذ بداية قدومه ويؤدي إلى تحسن عمليات التكيف، وهـذا يعني الألفـة لأسلوب الحياة الجـديدة والتعـود على المـمارسـات الاجتماعية وعدم استغراب المسلمات الثقافية لهذه الثقافة الجديدة. كما قد تؤدي هذه الفترة الزمنية التي يقضيها الطالب في بلد الدراسة إلى تحولات في الاتجاهات والميول النفسية والفكرية.

ومن جهة أخرى أدى طول الفترة الزمنية التي يقضيها الطالب في الدراسة ـ كما أوضح الغدير ـ إلى معرفة أكثر وأوضح للمفاهيم الثقافية التي جاء إليها. وبالرغم من منطقية هذه النتيجة وتطابقها مع نتائج دراسات أخرى إلا أنها تبدو غير منسجمة مع النتيجة الأولى التي توصـل إليهـا الباحث نفسه في دراسته والقائلة: لم يوجد هناك فارق واضح في اتجاهات وأحـاسيس كل من المجمـوعات الثلاث من الطلاب السعوديين تجاه الثقافة الأمريكية. وأعـود لتـذكـير القـارىء أن المجموعات الثلاث المعنية هي طلاب حديثي الوصول إلى أمريكا، وطلاب أمضوا ثلاث سنوات، وطلاب أمضوا خمس سنوات فأكثر.

ويمكننا إثارة نقطتين مهمتين في هذا الموضوع. النقطة الأولى هي صعوبة التوفيق بين النتيجة الأولى والثالثة لدراسة الغدير. فبينما تقول النتيجة الأولى: لم يوجد هناك فرق واضـح في اتجاهات وأحاسيس كل من المجموعات الثلاث من الطلاب السعوديين تجاه الثقـافـة الأمـريكية، تقول النتيجة الثالثة: تبين أن الطلاب السعوديين القادمين حديثًا للدراسة في الولايات المتحدة الأمريكية لا تتوافر لديهم المعرفة الكافية والفكرة الواضحة عن المفـاهيم الثقـافية الأمـريكية، فكيف نستطيع تصور أن للطالب الذي لا يعرف الثقافة الأمريكية نفس الإحساس والشعور تجاهها مقارنة بالطالب الذي تأثر بها أو عرفها أو على الأقل اعتاد عليها. والنقطة الثانية في هذا الموضوع هي أن الدراسات في مجال تكيف الطلبة الأجـانب جاءت بإثبـات بعض التحـولات والتبـدلات في الاتجـاهـات والميول النفسية والفكرية. وقد اتضحت هذه التحولات في تطوير مشاعر سلبية ضد ثقافة بلد الدراسة كما رأينا ذلك في دراسات فرانسيس أوكاديجي ورتشارد لامبرت ورتشارد مورس، أو اتضحت

هذه التحـولات في الاقتـداء بثقافة بلد الدراسة كما رأينا ذلك في دراسات إراج روديانى ومالكولم السن وأفرنو رمبل وصالح البنيان وعبدالله ناصر وإبراهيم العبيدي.

وخلاصة القول تعتبر الفترة الزمنية التي يقضيها الطالب الأجنبي في بلد الدراسة ذات تأثير قوي على شخصيته من ناحية ثقافية حيث تؤدي هذه الفترة غالبًا إلى تبدلات وتحولات في الاتجاهات والميول النفسية والفكرية. ويلعب عامل الزمن دورًا مهمًا في هذه التحولات وذلك بتعميقها وتعريض قاعدتها في اتجاه التوجهات النفسية والفكرية والسلوكية لثقافة بلد الدراسة. وحتى نكون بمنأى عن التعميم الذي قد لا تتوافر فيه الدقة العلمية، نؤكد هنا أن هذه النتيجة هي محصلة البحوث العلمية التي أجريت على الطلبة الأجانب في الولايات المتحـدة، وقـد يكـون لهذه النتيجة علاقة بموقع الحضارة الغربية في عالم اليوم وظروف الثقافات التي ينتمي إليها الطلبة الأجانب في الولايات المتحدة الأمريكية.

وأخيرًا نختتم استعراضنا للدراسات بدراسة موسعة قام بها الباحث طه صابي لنيل درجـة الـدكتوراه من إحدى الجامعات الأمريكية. وقد امتازت هذه الدراسة بشموليتها وتغطيتها لكثير من جوانب حياة الطالب الأجنبي حيث قام الباحث بجمع معلومات عن ٥٧٢ طالبًـا واستقصى آراءهم عن المشكـلات الشخصية والاجتـماعية والأكاديمية التي تعرضوا لها طيلة فترة دراستهم في الولايات المتحدة الأمريكية. وكانت الأغلبية العظمى من عينـة الدراسة من طلاب مناطق الشرق الأوسط وآسيا والبعض جاء من أفريقيا وأوروبا وأستراليا وأمريكا اللاتينية وكندا. وقد اشتملت الدراسة على نتائج أهمها الآتي:

١ـ أغلب المؤسسات التعليمية والجامعات الغربية ليست لديها استعدادات خاصة لاستقبال الطلبة الأجانب، لذلك تعتبر الأسابيع الأولى من قدوم الطالب صعبة للغاية.

٢ـ أغلب المؤسسـات التعليمية والجـامعات الأمريكية ليس لديها مؤسسات تعنى بحياة الطلبة الأجانب وأنشطتهم، لذلك فهم غالبًا ما يعيشون على هامش الحياة الجامعية الأمريكية.

٣ـ لم تراعى الفروق بين الطلاب الأجانب والطلاب الأمريكان حيث طبق على الجميع خطط وبرامج ومتطلبات الدرجات العلمية مما أدى إلى إرباك الطلبة الأجانب وتضخم مشكلاتهم خاصة في المراحل الأولى من الدراسة.

٤ـ عدد قليل فقط من الجامعات الأمريكية يوفر للطالب الأجنبي فرصًا للتطبيق العملي وإثراء الخبرة عن طريق العمل الميداني.

٥ـ يشكو الطلاب الأجانب من التفرقة العنصرية التي يمارسها ضدهم الشعب الأمريكي ومؤسساته التعليمية وذلك بسبب اختلاف أديانهم وجنسياتهم.

٦ـ لم يجد الطلاب الأجانب التشجيع للمشاركة في الأنشطة الطلابية في الحرم الجامعي.

٧ـ أغلب الطلاب الأجانب لم يكونوا راضين عن الظروف المعيشية التي كانوا فيها طوال فترة الدراسة التي قضوها في الولايات المتحدة الأمريكية وذلك لأسباب مثل عدم الحصول على السكن المرغوب ونوعية الأكل في مساكن الجامعة.

٨ـ عبّر الطلاب الأجانب بلا استثناء وفي مناسبات مختلفة عن المشكلات الثقافية والأكاديمية التي واجهتهم في الولايات المتحدة الأمريكية وعن صعوبة التكيف مع هذه المشكلات.

٩ـ لم تقدم أغلب الكليات والجامعات الأمريكية برامج خاصة لتعريف الطلاب الأجانب على كيفية استعمال المكتبة والطريقة السليمة للاستفادة منها [١٨].

وتعتبر هذه الدراسة — كما هو واضح — من أهم الدراسات في شموليتها وتغطيتها لمختلف جوانب حياة الطالب الاجتماعية والأكاديمية كما تعتبر نتائجها ممثلة لنتائج دراسات عديدة في هذا المجال.

ويبـدو أن أغلب الكليات والجامعات ليست لديها بصفة عامة، سياسات منظمة وجادة للاستجابة لحاجات الطلاب الأجانب، كما أوضح ذلك هيو جنكيز وزملاؤه Hugh Jenkeins and associates في تقـديم كتـابهم المعنـون (تعليم الطلبة الأجانب من الدول الأخرى) [١٩]. ولكن تشذ عن الأغلبية بعض الجامعات الأمريكية المشهورة التي تهتم بالطلاب الأجانب، حيث تقوم مثل هذه الجامعات بالعناية بهم وذلك عن طريق برامج الاستقبال والتي يتم من خلالها تعريف الطالب على الجامعة وعلى استعمال الخدمات المتوافرة فيها، كما تقوم هذه الجامعات بتشجيع المجتمع المحلي في المدينة الجامعية لعمل صداقات مع الطلاب الأجانب وتوثيق الصلات بهم وتعريفهم بالعادات والتقاليد الأمريكية، خاصة في بداية دراستهم في الـولايات المتحـدة الأمريكية. ومن ناحية أكاديمية تقوم الجامعات المشهـورة بتوفير برنامج للغة الإنجليزية تشترط على كل طالب لا تؤهله لغته الإنجليزية الانضمام إليه قبل البدء في الدراسة الأكاديمية.

وعندما نراجع بعض نتائج دراسة طه صابي نجد النتيجة التالية: أغلب الطلاب الأجـانب لم يكونوا راضين عن الظروف المعيشية التي كانوا فيها طوال فترة الدراسة. . . وذلـك لأسبـاب مثـل عدم الحصـول على السكن المرغوب فيه ونوعية الأكل في مساكن الجامعة، ولست متأكدًا فيما إذا كانت هذه النتيجة منطبقة على الطلاب الذين جاءوا من الشرق الأوسط. والذي يظهر بعد الرجوع إلى المعلومات المتوافرة في عينة الدراسة، أن هذا لا يصدق بالضرورة على الطلبة من تلك المنطقة وذلك بسبب ما تضمنته دراسة الباحث من معلومات حول سكن الطلبة. فقد تبين مثلاً أن الطلاب الأفارقة كانوا بصفة عامة يسكنون في مساكن طلبة الجامعة والمسماة باللغة الإنجليزية dormitories وفي هذا النوع من السكن يشترك الطالب الجامعي مع زميل أو أكثر في غرفة واحدة، وفي أفضل الأحوال يعطي غرفة بمفرده. وتتكفل الجامعة بتقديم الوجبات الغذائية بأسعار مناسبة في هذا السكن في ضوء نظام معين. كما اتضح أن الطلاب من جنوب شرق آسيا وأوروبا يسكنون في مثل هذه المساكن، ولكن يتميز طلاب الشرق الأوسط، كما جاء في الدراسة، عن غيرهم من الطلاب الأجانب في أسلوب معيشتهم فهم لا يسكنون في الغالب في مساكن الجامعة بل يسكنون في شقق جيدة ويطبخون بطريقتهم الخاصة. ولا يخفى أن السبب لمثل هذه الميزة الجيدة،

هو بالطبع الظروف الاقتصادية الحسنة التي يتمتع بها هؤلاء الطلاب. وبالرغم من أن الباحث لم يوضح من أي دول الشرق الأوسط جاءت عينة دراسته إلا أن الاحتمال يرجح أن معظمهم جاءوا من دول الخليج العربي.

وفي هذه المناسبة تجدر الإشارة هنا إلى أن دول الخليج العربي تدفع بسخاء على طلبتها في الخارج وتوفر لهم مخصصات طبية وأكاديمية واجتماعية بالإضافة إلى مكافآت شهرية لا تقارن بما تدفعه الدول الأخرى لطلبتها في الخارج وهذا بالتالي يجعل طلبتها في الغالب أكثر الطلاب الأجانب تخلصًا من مشكلات السكن والأكل وأكثر رضى بظروفهم المعيشية في بلاد الغربة. وقد يؤكد ذلك على سبيل المثال، بعض المعلومات التي تتعلق بالمخصصات المالية للطلاب السعوديين في الولايات المتحدة الأمريكية. فقد جاء في دراسة أجراها قسم الشؤون الاجتماعية في الملحقية التعليمية السعودية في مدينة هيوستن أن دخل الطالب المبتعث السعودي الأعزب هو ضعف الطالب الأمريكي. وإذا أضيف إلى الراتب الشهري للمبتعث (الأعزب) المخصصات الأخرى التي تقدم له كبدل الملابس وبدل البحوث العلمية والمراجع وبدل العناية الطبية، فإن دخله يقارب دخل العائلة الأمريكية المتوسطة والمكونة من أربعة أشخاص [١٧، ص٢٢].

خاتمة

حاولنا في هذه الدراسة إلقاء الضوء على الجانب الثقافي من الرحلة العلمية. وقد أخذنا بعض البحوث العلمية التي أجريت في جامعات الولايات المتحدة الأمريكية في مجال التكيف النفسي والاجتماعي للطلاب الأجانب بمثابة القاعدة التي بنينا عليها رسم بعض المعالم الرئيسة للمتغيرات النفسية والثقافية المحتملة التي يتعرض لها الطلاب في تجربتهم الثقافية في بلاد الغربة بجوانبها الإيجابية والسلبية. ونعتقد جازمين بأن استعمال تعبير تجربة ثقافية للدراسة في الخارج (خارج البلاد العربية والإسلامية) ليس من قبيل التلاعب بالألفاظ بل إن هذا الاستعمال جاء في ضوء ما وصل إلينا من نتائج للدراسات العلمية في هذا الموضوع، تعبير دقيق عما يتعرض له الطالب من مؤثرات فكرية وسلوكية تترك آثارها في حياته في بلد الدراسة وفي حياته عندما يرجع إلى بلده.

ولسنا نزعم أن هذه التجربة الثقافية ليس لها جانب إيجابي، بل يستطيع الطالب أن يستثمرها بطريقة إيجابية تعود عليه وعلى مجتمعه بالفائدة.

وعلى كل حال يمكن اختصار النتائج الرئيسة لهذه الدراسة بالنقاط الخمس الآتية. وهذه النقاط هي العناصر التي تحدد طبيعة التجربة الثقافية سلبًا وإيجابًا في حياة الطالب الأجنبي:

١ـ بالإضافة إلى الجانب العلمي (الأكاديمي والمهني) الذي له فوائد كثيرة للطالب الأجنبي ومجتمعه تعتبر الرحلة العلمية إلى بلاد الغرب ذات أثر كبير في إثراء خبرات الطالب الثقافية وتوسيع قاعدة اطلاعه وزيادة تقديره للعلم والمعرفة وتعريفه على ثقافات الشعوب الأخرى، وتخلق منه إنسانًا قادرًا على استيعاب الفروق الحضارية واستثمارها لصالح الحضارة التي ينتمي إليها.

٢ـ يمر الطالب بمشكلات تكيف اجتماعية ونفسية وثقافية تترك آثارًا على تعامله مع المجتمع الذي جاء إليه للدراسة، فقد تؤدي إلى تطوير مشاعر إيجابية تجاه المجتمع، أو تؤدي إلى عكس ذلك، اعتمادًا على نظرة المجتمع وتعامله مع الطالب. أو اعتمادًا على الأفكار المسبقة التي يحملها الطالب عن المجتمع الذي جاء إليه للدراسة. وبعبارة أخرى، يعتبر الوضع النفسي والاجتماعي الذي يعيشه الطالب ووقوعه تحت طائلة مسلمات ثقافية وعادات وتقاليد اجتماعية مغايرة لما ألفه وتعود عليه سبب من أسباب زيادة إحساسه بذاته وكونه عضوًا في ثقافة مختلفة، وهذا بالتالي قد يقوده إلى مشاعر إيجابية نحو مجتمع بلد الدراسة إذا كانت نظرة هذا المجتمع إلى الطالب وثقافته جيدة. أما إذا كانت نظرة مجتمع الدراسة للطالب عكس ذلك، فقد يؤدي هذا إلى تطوير مشاعر سلبية كأسلوب للدفاع عن الذات، وقد يتحكم الطالب بأحاسيسه ومشاعره ويتعامل مع مجتمع الغربة بطريقة ملائمة تضمن له تحقيق الأهداف التي جاء من أجلها.

٣ـ الاختلاف الثقافي بين الطالب الأجنبي وبين مجتمع الدراسة له أثر كبير في زيادة أو نقص مشكلات التكيف. فالطالب الذي جاء من ثقافة بعيدة في فلسفتها ومسلماتها

الثقافية ونظرتها للإنسان والكون والحياة (كالثقافة الإسلامية) عن الثقافة الأمريكية يشعر بصعوبة التكيف وتكون مشكلات هذا الطالب الاجتماعية والنفسية أكثر من قرينه الذي جاء من الثقافة الفرنسية أو الإسكندنافية وذلك لقربها من الثقافة الأمريكية. ولكن اختلاف الثقافة وما ينتج عنه لا يعني بالضرورة عدم الاستفادة العلمية والإنسانية من مجتمع الغربة، فهذه قضية تعتمد على الطالب ومستوى نضجه ومرونته.

٤ـ يؤدي طول الفترة الزمنية التي يقضيها الطالب الأجنبي في بلد الدراسة إلى التخفيف التدريجي من المشكلات الاجتماعية والنفسية التي يتعرض لها منذ بداية قدومه، وقد يؤدي إلى الألفة لأسلوب الحياة الجديد والتعود على الممارسات الاجتماعية وعدم استغراب المسلمات الثقافية، كما قد يؤدي إلى تحولات في الاتجاهات والميول النفسية والفكرية تكون باتجاه ثقافة مجتمع الدراسة.

٥ـ تقوم الدراسات الغربية في مجال تكيف الطلبة الأجانب على فرضيات نظرية يغلب عليها التحيز الثقافي حيث تركز الدراسات غالبًا على التبدلات والتحولات الفكرية والنفسية والسلوكية التي تحصل للطالب الأجنبي في اتجاه الثقافة الغربية، فالبحث دائمًا بإتجاه مدى اتساع أفق الطالب (اتساع الأفق يعرف بالطريقة الغربية للنظرة للأفكار والأشياء وللقيم والسلوك الاجتماعي) ومدى تأثير طول الفترة في اندماجه بالمجتمع الغربي وامتصاصه الاجتماعي ومدى التحولات السلوكية التي تجعله شخصًا مقبولاً في الثقافة الغربية... إلخ.

المراجـــع

[١] Morris, Richard. *The Two Way Mirror*. Minneapolis: University of Minnesota Press, 1960.

[٢] Lazarus, Richard, *Adjustment and Personality*, N.Y.: McGraw-Hill, 1961.

[٣] Coleman, James C. "Types of Adjustive Reactions." *Reading in Psychology of Adjustment*. N.Y.: McGraw Hill, 1959.

[٤] Frostat, Reisha. "Adjustment Problems of International Students." *Sociology and Social Research*, 36 (Sept.-Oct., 1951), 25-30.

[٥] Lambert, Richard, D. and N. Bressler. *Indian Students on an American Campus*. Minneapolis: University of Minnesota Press, 1956.

[٦] Okediji, Francis. "Strangers and Their Social Adjustment on College Campuses: A Study of African Students in Two Midwestern Universities." Unpublished Doctoral Dissertation, Indiana University Graduate School, July 1964.

[٧] Sewell, W. and Oluf Davidson. *Scandinavian Students in an American Campus*. Minneapolis: University of Minnesota Press, 1961.

[٨] Roudiani, Iraj. "Foreign Students: A Comparative and Correlational Study in Frames of Reference, Length of International Experience and Patterns of Interaction in a Multicultural Environment." Unpublished Doctoral Dissertation, Indiana University, Bloomington, School of Education, Dec. 1975.

[٩] Payind, Mohammed, "Academic, Personal and Social Problems of Afghani and Iranian Students in the United States." Unpublished Doctoral Dissertation, Indiana University, Bloomington, Graduate School, August 1977.

[١٠] Ellis, Malcolm. "Perceived Problems of Non-Canadian and Non-European Foreign Students at a Major University." Unpublished Doctoral Dissertation, Indiana University, Bloomington, 1987.

[١١] De Oliveira, Luiz. "Foreign Students Adjustment in the United States: A Review and Synthesis of Doctoral Dissertations 1956-1980." Unpublished Doctoral Dissertation, George Peabody College for Teachers, 1982.

[١٢] Hsu, Francis. *The Making of Psychological Anthropology*, George D. Spindler, ed. Berkeley: University of California Press, 1978.

[١٣] Rempel, Milton Averno. "Studies of the Role of the State of Iowa in World Affairs." Unpublished Doctoral Dissertation, Iowa City, State University of Iowa, 1954.

[١٤] Dubois, Cora. *Foreign Students and Higher Education in the United States*. Washington, D.C.: American Council on Education, 1956.

[١٥] Al-Khedaire, Khedaire Saud. "Cultural Perceptions and Attitudinal Differences among Saudi Arabian Male College Students in the United States." *Dissertation Abstracts International*, 39 (1978).

[١٦] El-Banian, Abdullah. "Cross-Cultural Education and Attitude Change: A Study of Arabian Students in the United States." Unpublished Doctoral Dissertation, Raleigh, North Carolina State University, 1972.

[١٧] مجلة المبتعث، مجلة طلابية تصدرها الملحقية الثقافية السعودية في الولايات المتحدة الأمريكية، هيوستن، تكساس (محرم ١٤٠٤هـ).

[١٨] Sabie, Taha, "Foreign Students Coping with American Culture at Eight Selected American Universities." Unpublished Doctoral Dissertation, George Peabody College for Teaschers, 1975.

[١٩] Jenkins, Hugh M. et al. *Educating Students From Other Nations*. San Francisco: Jossey-Bass, 1983.

The Socio-Cultural and Psychological Problems of Foreign Students in the West

Ibrahim H. Al-Quayid
Center of European Languages and Translation, College of Arts, King Saud University, Riyadh, Kingdom of Saudi Arabia

Abstract. The educational trip to Western countries for foreign students constitutes a unique cultural experience. This experience has two sides; positive and negative. On the positive side, the experience, in general, enhances the cross-cultural awareness of foreign students and widens their horizons and their knowledge about other cultures. On the negative side, the educational trip might lead to psychological and intellectual changes in attitudes towards Western culture.